الافتتاحيّة

سفر يشوع قيمة دينيّة وروحيّة هامّة

رئيس التحرير

مقدّمة

هناك مرمى ديني وراء تكوين سفر يشوع بن نون. تشهد التقاليد القديمة التي يضمّها هذا السفر، على وجود نظرة دينية للأرض التي يحتلها اسرائيل والتي هي مُلك لله (٢٢:٢٥)، وللتاريخ الذي جعلها مُلكاً لاسرائيل من خلال التدخلات الالهية المتتابعة. من القصص المحلية، الى مجموعة قصص منطقة يهوذا المتعلقة بالمرحلة التاريخية الاولى للعصر الملوكي، والى التحرير النهائي للسفر، يوازي التطور الادبي تطور ضمير اسرائيل ووحدته على ضوء ايمانه ورجائه. صورة «كل اسرائيل» المحتلّ «مرّة واحدة» «كل» بلاد كنعان تحت قيادة يشوع «الوحيدة»، تهدف الى تمجيد «الله، اله اسرائيل، والمحارب لاجل اسرائيل» (١٠:٤٢-٤٣).

هكذا كان على مآثر يشوع ان تبيّن قصد الله في شعبه، ومن خلال ادخالها في اطار تتميم هذا القصد في العهدين القديم والجديد، يمكن فهم معنى هذه المآثر.

١- «**لم يسقط واحد من الوعود التي قطعها الرب لآل اسرائيل...**» (٢١:٤٣). فلقد سبق ووعد ابراهيم **بارض وبنسل**، وهذا ما تحقّق بالفعل، لذلك يمدح سفر يشوع امانته. حتى عبر الكلام عن لوائح الملوك المهزومين او لوائح الحدود، هناك حبّ يفصح الكاتب عنه، حبّ يستعذب تفصيل موضوعه ورفعه الى المثالية، ألا وهو موضوع الارض والنسل، ثمرتا الوعد.

في عصر التحرير النهائي للسفر، يعبّر هذا الحب ايضاً عن رجاء ما. فالنسل انقسم الى مملكتين، احداهما كانت قد سقطت عند تحرير السِّفر، والثانية على وشك السقوط او انها زالت. لقد غزا الاعداء الارض، وسيحتلونها لاحقاً بكلّيتها. وفي مجال تكذيب التاريخ، فانّ الايمان يتوكل على الوعد ومنه ينتظر تحقيقاً ما جديداً؛ انه يصبو الى الراحة التي تعطي قصة يشوع صورة عنها (١:١٣، ١٥؛ ٢١:٤٤؛ ٢٣:١؛ رج تث ٣:٢٠؛ ١٢:١٠؛ ٢٥:١٩؛ ثم اش ١٤:٣؛ ٢٨:١٢). مساحة اسرائيل محفوظة كعربون مستقبل جديد. يصف حزقيال (٤٧-٤٨) في المنفى تقسيم الارض المجدّدة، بين القبائل في المستقبل، متكلماً عن امتلاك او وراثة الارض؛ وبهذا الكلام يعبّر عن رجاء الخلاص المسيحاني والنهيوي (حز ٣٦:١٢؛ ٣٧:٢٥؛ اش ٥٧:١٣؛ ٦٠:٢١؛ ٦٥:٩)، وعن انتظار الممتحَنين الذين يتكلون على الله (مز ٢٥:١٣؛ ٣٧:٣، ٩، ١١، ٢٢، ٢٩، ٣٤). العهد الجديد يجيب: «طوبى للمتواضعين، فانهم يرثون الارض» (متّى ٥:٥؛ رج عبارة «وراثة ملكوت الله» في متّى ٢٥:٣٤؛ ١ كو ٦:٩-١٠؛ ١٥:٥٠؛ غل ٥:٢١). والرسالة الى العبرانيين تدعو الى الاستعداد لدخول راحة الله، التي تشكل راحة كنعان صورة عنها (٤:٨؛ رج رؤ ١٤:١٣).

٢- منذ موسى، **يحدّد العهد العلاقات بين الله وشعبه**، ومآثر يشوع تظهر ذلك بالفعل: **يكون الله مع اسرائيل، عندما يطيع اسرائيل ارادة الله**. بالنسبة الى المحرّرين وفق روحية تثنية الاشتراع، يشكل هذا التأكيد نوعاً من الحكم على التاريخ الحديث: ان سبب سقوط السامرة ومآسي اورشليم هو عدم الامانة للعهد؛ والخيانة الاكثر شؤماً تمّت عبر عبادة الآلهة الغريبة، والتشبّه بالامم الاخرى.

من هنا يفهم الالحاح على الحرام («حِرِمْ» بالعبريّة) والابادة، الذي هو اصلاً من طقوس الحرب المقدسة، والذي بواسطته توقَف ارباح النصر وغنائمه للاله عبر التضحية بالناس وبالبهائم، اما المدن فتخرّب، والخيرات فتتلف او تحفظ للعبادة. نجد امراً موازياً لهذا خارج الكتاب المقدس على لوحة «مِشَعْ» ملك مؤاب (القرن التاسع ق. م.). ويبدو ان الانبياء القدامى لم يتصدّوا لهذه العادة الموروثة عن ذهنية دينية فظّة، لكنهم رأوا فيها وسيلة للحفاظ على نقاوة اليهوهيّة ضدّ مذهب التوفيق الديني (رج ١ صم ١٥؛ ١ مل ٢٠:٣٥-٤٣)، علماً ان هذا لم يكن الهدف الاول. سفر تث يجعل منها قاعدة، لكن في عصر كانت فيه الحرب المقدسة منذ زمن طويل غير ممارَسة، انما العبادات الغريبة كانت قد اصابت ايمان اسرائيل بعدواها. ان الحاح يشوع على الحرام («حِرِمْ») هو من عمل محرّر السفر ويحمل طابع تث (باستثناء العناصر القديمة في الفصول ٦-٧)، كما يظهر بغض الكنعاني، الذي يعبر عنه في يشوع كما في تث ٢٠:١٦-١٨، وكأنه شيء نظري. يعلم المحرّر انه بالواقع لم يُبِدِ العبرانيون السكان الاصليين (يش ٢٣:٤ و١٢)، وانهم وقعوا ضحية خطر عدوى عبادة البعل. بالتأكيد، انه يريد ان يعطي امثولة: يمثّل الكنعانيون وآلهتهم كل ما يحوّل الشعب المختار عن الله، ولا مستقبل لهذا الشعب الا اذا عاد الى خدمة الله المطلقة.

هذه الحقيقة تحتفظ بقيمتها. حسب المزمور ٩٥، يدعو الله شعبه كل يوم الى الطاعة التي بدونها «لا يدخلون راحته» (٩٥:٧-١١). والرسالة الى العبرانيين تطبق هذا المزمور على حاضر العهد الجديد، حيث تجد صور تاريخ يشوع تحقيقاً لها (٤:١-١١؛ رج يش ١١:١٥؛ تث ٤:١-٥، ٢٥-٢٦؛ ٥:٣٢-٣٣؛ ٦:١٧-١٩).

٣- وتأخذ صورة كل القبائل المتحدة تحت قيادة يشوع قيمة استباق نبوي؛ لكن عندما يتخذ السفر شكله النهائي، تكذّب الوقائع هذه الصورة التي بالمقابل تنسجم جيداً مع الرجاء الذي عند ارميا (٣١:٢٣-٨؛ ٣١:٢٧-٢٨)، وحزقيال (٢٧:١٥-٢٨). يعمل الله دائماً على تحقيق وحدة شعبه، لكن هذا العمل يتطلّب اشتراك الجميع، وتدعى الى ذلك القبائل التي في عبر الاردن. والرابط الذي يجمع الكل تضمنه الامانة للشريعة: ان جماعة شكيم هي مثل على ذلك.

تأخذ هذه الامثولات كل معناها بتجمّع كل اسرائيل الجديد. وان امراً ثانوياً، كمغامرة راحاب، قد يصبح نموذج انفتاح الخلاص المسيحاني وشموليته (متّى ١:٥)، ونموذج الايمان الذي يخلّص عبر الانضمام الى شعب الله (يع ٢:٢٥؛ عب ١١:٣١).

يبيّن الدور الذي يعود الى يشوع امراً ثابتاً في العمل الالهي؛ ففي كل مرحلة من التاريخ المقدس، يُلقى تصميم الله على منكبَي انسان يختصر في شخصه كل شعبه. يجسّد يشوع بنوع ما وحدة اسرائيل الذي يدخله الله في ميراثه. انه يحقق الطواعية المثالية المطلوبة من شعب الله. تُظهر انتصاراته عمل الله لصالح الجماعة المختارة. حتى اسمه لا ينبغي ان يكون موضوع عدم اكتراث من قبل التقليد الكتابي (رج عد ١٣:١٦: موسى يغيّر الاسم من هُوشِيعْ، «تحرير»، الى يَهُوشُوعْ، «يهوه يحرّر»). انه يعبّر عن دعوته وعن اشتراكه بعمل الله الكبير، والذي يحدّده الكتاب المقدس باستمرار بالخلاص. مع يشوع، يعطي الله مجالاً لشعبه عبر تخليصه اياه من اعدائه. اعمال تحرير اخرى ستلي، والرجاء سيمتدّ الى اعمال شبيهة وتقريرية اكثر، الى ان يرسل الله يشوع آخر، ابنه يسوع.

خاتمة

من خلال انواع ادبية متنوعة، غنيّة نوعاً ما بالمحتوى التاريخي حسب المفهوم المعاصر للكلمة، يبدو سفر يشوع من طرف الى آخر، مشبعاً بروح ديني عميق: عبادة الله الأحد، عرفان بالجميل للعطايا التي حصل عليها بنو اسرائيل منه، ثقة بعونه، وبالطاقة التي يمنحها لمؤمنيه.

ماءُ اريحا المالحة تصبحُ عذبةً بقوّةِ الله